

## دراسة

## فك لغز مقطعية جبيل

## العرب كانوا هنا في 1750 قبل الميلاد...



Inscriptions pseudo-hiéroglyphiques : tablette d.

ثبتت صحة ما توصلت إليه. لكن ما باليد حيلة. النقوش عربية شمالية، بل وعربية قديمة على علاقة وطيدة بلغة القرآن، والنظام الكتابي نظام عربي مقطعي قديم.

أعرف أنّ هذا لن يقبل بسهولة. بل وأنه سيرفض. فكيف يمكن للغة العربية، أو لأمة القديمة، أن تملك نصوصاً كتابية أقدم ربما بأربعة قرون من أي نصوص فينيقية نملكها، وأقدم بستة أو سبعة قرون من أي نصوص آرامية؟ نصوص أقدم من نصوص التوراة بالف سنة على أقل تقدير. هذا أمر صادم، ولن يقبل بسهولة. وهو لن يقبل بسهولة أيضاً لأنه يأتي على الأخص من شخص من خارج «الحقل»، الذي هو حقل فيه الكثير من التلاميذ غير النجباء. كما أعرف أن من يكتب بالعربية حول قضايا هذا الحقل يشبه من «يرقص في العتمة»، لن يراه أحد. لكن ماذا علي أن أفعل؟ ما توصلت إليه يجب أن يعلن.

## اللوح البرونزي «سي»

سوف أركز هنا على اللوحين البرونزيين D و C، فهما اللوحان اللذان يكادان يكونان مكتملين. النقوش الأخرى تالفة بهذا القدر أو ذاك، وليس من السهل اكتشاف «القصة» التي تتحدث عنها. وقد بدأت محاولتي لفك اللغز باللوح «سي». لذا سأبدأ به هنا.

وقد قرأت في هذا اللوح بين السطرين الأول والثاني ما يلي:

سطر 2:

A + 2 / 8 / 7 / 1

سطر 3:

3 / 8 / 2 / 2

[ب] ت ر خ س ن ت ا

السياسية والديمقراطية الإقليمية التي عصفت بفينيقيا بين الحين والحين. لم تكن «فينيقيا» دوماً «فينيقية». فقد اجتاحتها غزاة كثيرون، وبقي بعضهم فيها قروناً. بدأ لا يمكن أن تفترض حين نحدد نظاماً كتابياً غير معروف لنا أن تحكم فوراً بأنه فينيقي. فقد يكون حثياً، أو يونانياً، أو من جزيرة العرب. وقد اختبرت الفرضيتان الحثية واليونانية، فلم تؤتيا ثماراً. أما فرضية الجزيرة العربية، فلم تختبر. ذلك أنّ الفكرة العامة أن الجزيرة العربية لم تكن في ذلك الزمن البعيد بقادرة على إنشاء نظام كتابي بهذه الفرادة والتعقيد، كما أنها لم تكن بقادرة على شن غزو يوصلها إلى جبيل بفينيقيا. كان هذا ممكناً فقط مع ظهور الإسلام.

والحال أن ما توصلت إليه يعاكس هذا. فلغة النقوش لغة من لغات شمال الجزيرة العربية. كما أن نظامها الكتابي هو أبو الفبائيات الجزيرة العربية شمالاً وجنوباً، وعلى الأخص الفبائيات الشمال من «لحيانية، ديدانية، ثمودية، صفائية، حسمائية» إلخ. وكان هناك منذ البدء من رأي، مثل أولبرايت، تشابهاً ما بين النظام الكتابي الذي نتحدث عنه وبين الفبائيات الجزيرة العربية. لكنه لم يكن ممكناً افتراض أن هذا النظام قادم من جزيرة العرب. إذن فلا بد أن تكون الفبائيات الجزيرة العربية هي من قلد هذا النظام «الفينيقي»: «الغريب» أي لا بد أن يكون هذا النظام أباهاً. أما أنا، فقد قلبت المعادلة. فمقطعية جبيل تجد أصلها في شمال الجزيرة العربية، بل إنها قادمة من هناك مع غزاة أتوا من هناك. غزاة كانوا في جبيل قبل ما يقرب من 2300 عام من الفتح العربي لبلاد الشام.

## لغة عربية قديمة

أكثر من هذا، فإن لغة هذه النقوش قريبة من اللغة العربية حد أنها يمكن وصفها بأنها عربية قديمة. أعرف أن هذا لن يسر كثيرين، ولن يسر كثيراً من «الفينيين اللبنانيين» على وجه الخصوص، بل وأعرف أن بعضهم قد ينتحر إذا

اكتشفها. لكن هذا لم يكن مقنعاً للكثيرين، لذا جرت محاولات لتقليص عدد هذا العلامات على فرض أن اللغة فينيقية وتحتاج فقط إلى ما يقرب من 66 علامة.

## محاولات فك اللغز

وقد جرت محاولات عديدة لفك لغز هذه الكتابة. المحاولة الأولى، وجاءت بعد سنة من نشر النقوش، قام بها إي دورم E. Dhorme. وقد نهضت على افتراض أن اللغة فينيقية. وقد حظيت هذه المحاولة باكبر اهتمام، رغم أنها لم تقبل في نهاية الأمر. ثم جاءت بعد ذلك بسنوات طويلة محاولة من جورج مندنهول: George E. Mendenhall الذي بدأ بمحاولة قراءة النقوش على أنها فينيقية، وانتهى إلى أن أعلن أنها ليست لغة فينيقية، بل هي لغة أقدم من اللغة الفينيقية. إنَّها لغة ما قبل الانشقاق بين اللغات السامية الغربية إلى شمالية - غربية وجنوبية، أي بين اللغات الفينيقية - الآرامية ولغات شبه الجزيرة العربية. انطلاقاً من ذلك، فقد دفع بتاريخ النقوش عدة قرون إلى الوراء، أي إلى حدود 2400 ق.م. والتاريخ المقبول لهذه النقوش عموماً يضعها في فترة حكم الهكسوس لمصر أو قبيلها، أي أننا بين القرنين السادس عشر والثامن عشر قبل الميلاد. وقد رفضت محاولة مندنهول كما رفضت محاولة دورم. كذلك جرت محاولات لقراءة النقوش على أنها هيروغليفية حثية أو كتابة يونانية. لكن هذه المحاولات لم تقبل أيضاً. وباختصار ظل اللغز لغزاً، وظل الملف مفتوحاً.

ويعتقد الكثير من الباحثين أن العجز عن حل اللغز نابع من قصر النقوش. فهي لا تكفي لحل هذه النقوش بشكل انتظامي من داخلها. أما أنا، فأعتقد أن الفشل في حل لغز هذه الكتابة نابع من الفرضية الأساسية عند الغالبية، والتي تقول أن هذه اللغة يجب أن تكون لغة كنعانية - فينيقية. هنا تكمن المشكلة في نظري. فهذه الفرضية تتعامل مع فينيقية على أنها كيان «فينيقي» ثابت متماسك، وتغفل التغيرات

## زكريا محمد\*

بين العامين 1928-1932، عثرت بعثة أثرية فرنسية، برئاسة موريس دوناد، في مدينة جبيل بلبنان على عشرة نقوش بنظام كتابي غير معروف لنا من قبل، وبلغت غير معروفة، وإن كانت الغالبية تفترض عموماً أنها لغة كنعانية - فينيقية قديمة. نشر دوناد النصوص ورسمه لها عام 1945، وسمّى هذا النظام الكتابي باسم «الهيروغليفية الزائفة» Pseudo-hieroglyphic، أو «مقطعية جبيل» Byblos Syllabary. الاسم الأول نابع من واقع أنّ هذا النظام الكتابي غير المؤلف لنا، يستخدم علامات تصويرية في نصوصه، مثل صورة طائر أو عين بشرية، وهو ما يقوّيه من الهيروغليفية، ولو شكلياً. أما الاسم «مقطعية جبيل»، فنابع من أنّ عدد العلامات

## الفكرة العامة أنّ الجزيرة العربية لم تكن في ذلك الزمن قادرة على إنشاء نظام كتابي بهذه الفرادة والتعقيد

الكتابية في هذا النظام فيها أكبر بكثير من أن تكون الفباء، وأقل بكثير من أن تكون نظاماً هيروغليفياً كالنظام الكتابي المصري. بالتالي، يفترض أنه كتابة مقطعية.

وفي الكتابة المقطعية، فإن لكل صوت ثلاث علامات، فالجيم مثلاً لها ثلاثة أشكال: مع الفتحة، ومع الضمة، ومع الكسرة. بدأ فإن لغة مكونة من 22 حرفاً كالفينيقية تحتاج إلى 66 علامة لكتابتها. وأصوات اللغات السامية تقع بين 22 و30 صوتاً. بدأ فلو كنا مع لغة مثل لغة أوغاريت، المكونة 30 حرفاً، فيجب أن يكون لدينا ما يقرب من 120 علامة لكتابتها مقطعياً. أما اللغة العربية، المكونة من 28 صوتاً، فحتاج إلى أكثر من ثمانين علامة. وقد أحصى دوناد 114 علامة في النقوش التي